

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

تهديد المشركين
بوشك الهلاك
والفناء

لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِإِذَارِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، جَاءَ تَذْيِيلُ الْآيَةِ بِتَهْدِيدِهِمْ بِأَنَّهُمْ لَا مَفْزَأَ لَهُمْ مِنْ قَضَائِهِ الْمَحْتَمِّ بِمَوْتِ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ، وَاسْتِيفَائِهِ سُبْحَانَهُ لِلْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا؛ اسْتِيفَاءَ الْوَارِثِ لِارْتِثِهِ⁽¹⁾.

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿نَرِثُ﴾: (ورث) أَصْلٌ وَاحِدٌ وَهُوَ الْوَرِثُ وَالْمِيرَاثُ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ لِقَوْمٍ، ثُمَّ يَصِيرَ إِلَى آخَرِينَ بِنَسَبٍ أَوْ سَبَبٍ⁽²⁾، وَالْمِيرَاثُ أَصْلُهُ مَوْرَاثٌ، انْقَلَبَتِ الْوَاوُ يَاءً لِكُسْرَةِ مَا قَبْلَهَا، وَالتَّرَاثُ أَصْلُ التَّاءِ فِيهِ وَاوُ، تَقُولُ: وَرِثْتُ أَبِي، وَوَرِثْتُ الشَّيْءَ مِنْ أَبِي، أَرِثُهُ بِالْكَسْرِ فِيهِمَا، وَرِثًا وَوَرَاثَةً وَإِرْثًا، وَالْأَلْفُ مَنْقَلِبَةٌ مِنَ الْوَاوِ⁽³⁾، وَمَعْنَى وَرَاثَةً اللَّهُ لِلْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا فِي الْآيَةِ، أَيُ: يَبْقَى بَعْدَ فَنَاءِ الْكُلِّ، وَيَفْنَى مَنْ سِوَاهُ، فَيَرْجِعُ مَا كَانَ مِلْكَ الْعِبَادِ إِلَيْهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهَذَا مَعْنَى صِفَةِ الْوَارِثِ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ، أَيُ: الْبَاقِي الدَّائِمُ الَّذِي يَرِثُ الْخَلَائِقَ، وَيَبْقَى بَعْدَ فَنَائِهِمْ⁽⁴⁾.

(2) ﴿يُرْجَعُونَ﴾: (رجع) أَصْلٌ كَبِيرٌ مُطَرِّدٌ مُنْقَاسٌ، يَدُلُّ عَلَى رَدٍّ وَتَكَرُّارٍ، تَقُولُ: رَجَعَ يَرْجِعُ رُجُوعًا، إِذَا عَادَ، وَرَاجَعَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ، وَهِيَ الرَّجْعَةُ وَالرَّجْعَةُ، وَالرَّاجِعَةُ: النَّاقَةُ تُبَاعُ وَيُشْتَرَى بِشَمَنِهَا مِثْلُهَا، وَالتَّانِيَةُ هِيَ الرَّاجِعَةُ⁽⁵⁾، وَالرُّجُوعُ: الْعَوْدُ، وَالرَّجْعُ: الْإِعَادَةُ، وَالْعَوْدُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 110 / 16.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ورث).

(3) الجوهري، الصحاح: (ورث).

(4) ابن منظور، لسان العرب: (ورث).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رجع).

إلى الدُّنيا بعد الممات⁽¹⁾، فيكون الرَّجوع المقصود في الآية هو العودة إلى الله تعالى بعد الممات للحساب والجزاء.

❖ الْمَغْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

يخبر الله تعالى عن نفسه بأنَّه الوارث للأرض وَمَنْ عَلَيْهَا؛ فقد حكم بفناء هذه المخلوقات، وتصرُّفه تعالى فيهم بما يشاء، وأنَّه سيأتي يومٌ سيفنى فيه كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا، والجميع سيُرْجَعُونَ إليه، ويقفون بين يديه، ويحاسبهم بما كسبت أيديهم ويجزيهم به⁽²⁾.

قضاء الله
بفناء المخلوقات
ورجوعها إليه
لحساب

❖ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

علّة فصل مطلع الآية:

فُصِّلَ قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾؛ لأنَّها وقعت تذييلاً على عادة القرآن في تذييل الأغراض عند الانتقال منها إلى غيرها، وأفاد هذا التذييل التعريف بتهديد المشركين بأنَّهم لا مفرَّ لهم من الكون في قبضة الربِّ الواحد الذي أشركوا بعبادته بعض ما على الأرض، وأن آلهتهم ليست بمرجوة لنفعهم؛ إذ ما هي إلاَّ مما يرثه الله⁽³⁾.

عادة القرآن في
تذييل الأغراض
عند الانتقال من
قصة إلى أخرى

دلالة تصدير الجملة بحرف التأكيد:

صُدِّرَ قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ بحرف التأكيد (إِنَّ) لتوكيد أمر فناء الدنيا بمخلوقاتِها، وأنَّها راجعة إلى خالقها، فجاء الخبر مؤكِّداً؛ لأنَّ المشركين ينكرون الجزاء، فهم ينكرون أنَّ الله يرث الأرض ومن عليها⁽⁴⁾.

تأكيد الخبر
للمنكر دفعاً
للشكِّ

علّة التعبير بضمير العظمة ﴿إِنَّا﴾:

عُبِّرَ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ بالضمير

عظمة الباقي
سبحانه في إفناء
مخلوقاته

(1) الراغب، المفردات: (رجع).

(2) الجزائري، أيسر التفاسير: 309 / 3.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 110 / 16.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 110 / 16.

(نا) في ﴿إِنَّا﴾ الذي يدلُّ على تعظيم المتكلم سبحانه وفيه إدخالُ المهابة في قلوب العباد⁽¹⁾، فالعظيم هو الباقي وحده، وكلُّ صفات العظيم عظيمة؛ إذ المقامُ هنا مقامٌ تدلُّل على قدرة الله وأنَّ وراثته الأرض ومن عليها إليه.

بلادة الضمير المنفصل ﴿نَحْنُ﴾:

جاء التعبير بالضمير المنفصل ﴿نَحْنُ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾، والنكتة في استعماله التأكيد، ولا يفيد تخصيصاً؛ إذ لا يفيد ردَّ اعتقاد مخالف لذلك، ومجيء ضمير الفصل بمجرد التأكيد كثير إذا وقع ضمير الفصل بعد ضمير آخر، نحو قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ [طه: 14]⁽²⁾.

دلالة إسناد الفعل ﴿نَرِثُ﴾ إلى ضمير العظمة:

جاء معنى الإرث في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ على المجاز؛ لأنَّ حقيقة الإرث مصير مال الميت إلى من يبقى بعده، فاستعمل هنا كناية عن تمحُّص التصرف في الشيء دون مشارك، فإنَّ الأرض كانت في تصرف سكَّانها من الإنسان والحيوان كلُّ بما يناسبه، فإذا هلك النَّاسُ والحيوان فقد صاروا في باطن الأرض وصارت الأرض في غير تصرفهم، فلم يبقَ تصرف فيها إلا لخالقها، وهو تصرف كان في ظاهر الأمر مشتركاً بمقدار ما خولهم الله التصرف فيها إلى أجل معلوم، فصار الجميع في محض تصرف الله، ومن جملة ذلك تصرفه بالجزاء⁽³⁾.

نوع (أل) في لفظ ﴿الْأَرْضُ﴾ ودلالاتها:

عُرِّفَتْ لفظة ﴿الْأَرْضُ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ

مجيء ضمير
الفصل بغرض
التأكيد

الكناية عن
عموم الفناء
وتفرّد الواحد
بالبقاء

الأرض معهودة
في ذهن كلِّ
إنسان

(1) الشَّهاب، عناية القاضى وكفاية الراضى: 6 / 208.

(2) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ والتَّنْوِيرُ: 16 / 110.

(3) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ والتَّنْوِيرُ: 16 / 110.

عَلَيْهَا بأداة التعريف (أل) الدالة على العهد الذهني، وهي تعرّف حقيقة ذهنية يراد بها فرد مُبَهَّم من أفراد الحقيقة باعتبار عهديته في الذهن لاشتمال الحقيقة عليه⁽¹⁾، فالمقصود بالأرض: الأرض المعهودة التي تعيش المخلوقات عليها.

دلالة العطف في قوله: ﴿وَمَنْ عَلَيْهَا﴾:

عطف ﴿وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ على ﴿الْأَرْضَ﴾، بمعنى أنه سبحانه يرث الأرض ويرث من عليها، فموضع ﴿وَمَنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ النصب بالفعل ﴿نَرِثُ﴾، ومعنى وراثتها أنه هو وحده الباقي بعد الأرض ومن فيها، فكلها ومخلوقاتهما إلى نهاية، وقد شبّه وجوده العزيز الجبار بأنه يكون بعدها؛ كي يكون الوارث بعد المورث، فالمورث يموت والوارث يموت بعده، ولكنّ الله حي لا يموت، وليس المعنى أن الله يرث الأرض ويرث ما ترك الناس من المال والنسب، فالله غني عن المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: 15]⁽²⁾.

نكتة التعبير باسم الموصول ﴿وَمَنْ﴾:

أوثر في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ التعبير بالاسم الموصول ﴿وَمَنْ﴾ دون (ما)، وهو اسم موصول مشترك دالٌّ في الأصل على العاقل، مع أنّ مخلوقات الأرض فيها من لا يعقل كالحيوانات، والنكتة في ذلك تغليب العاقل على غيره، فالمنتفع بالتخويف هو العاقل فخصّه تعالى بالذكر⁽³⁾، وكذلك لأنّ السياق في ذكر يوم الحساب وحسرة الكفار فيه، فناسب ذلك تغليب العاقل الذي سيحاسب على أفعاله دون غير العاقل.

بقاء الخالق
وفناء الأرض
والمخلوقات التي
تعيش عليها

تغليب العاقل
على غيره
لقصده بالموعظة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 263 / 18.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4643 / 9.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 355 / 29.

تخويف الناس دون باقي المخلوقات

سرّ إثارة حرف الاستعلاء (على) دون (في):

ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ التعبير بحرف الجرّ (على) الدالّ على الاستعلاء دون حرف (في) الدالّ على الظرفية؛ لأنّ المقصود بالخطاب هم الثّقلاق، وهم يعيشون ويمشون على ظهر الأرض وليس في باطنها، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: 26]، فهو وإن كانت كلّ الجهات ستفنى، لكن الموعظة موجّهة للإنس والجنّ، فناسب السياق تخصيصهم بحرف الجرّ (على) دون باقي المخلوقات التي تعيش في الأرض.

دلالة الواو في ﴿وَالْيَنَّا يُرْجَعُونَ﴾:

تهديد المشركين بالبعث بعد الموت

وَصِلَ قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَالْيَنَّا يُرْجَعُونَ﴾ بحرف الواو الدالّ على العطف والاقتران، وذلك لعطف البعث على الإفناء، وفي ذلك تهديد المشركين بأنهم لا مفرّ لهم بعد الفناء من الكون في قبضة الرّبّ الواحد الذي أشركوا بعبادته بعض ما على الأرض، وأنّ آلهتهم ليست بمرجوة لنفعهم؛ إذ ما هي إلّا ممّا يرثه الله سبحانه⁽¹⁾.

سرّ تقديم الجار والمجرور في الآية:

اختصاص الله بالرجوع إليه وبالحساب

تقدّم في قوله تعالى: ﴿وَالْيَنَّا يُرْجَعُونَ﴾ الجار والمجرور ﴿وَالْيَنَّا﴾ على الفعل لنكتة بلاغية وهي الاختصاص، بمعنى اختصاص الله بالرجوع إليه للحساب، ويجعل أئمة علم المعاني التخصيص لازماً للتقديم⁽²⁾، ونظيره مثلاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٣٠﴾ [الغاشية: 25 - 26]، فالمعنى كذلك هو اختصاص الله بالرجوع إليه وبالحساب⁽³⁾، وقد ذكر بعض العلماء أنّ محمل هذا التقديم بالنسبة إلى المسلمين الاهتمام، ومحمّله بالنسبة إلى المشركين القصر، أي: لا يرجعون إلى غيرنا⁽⁴⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 110 / 16.

(2) السّكّاي، مفتاح العلوم، ص: 233.

(3) الزمخشري، الكشاف: 745 / 4.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 110 / 16.

فائدة ضمير العظمة في قوله ﴿وَالْيَنَّا﴾:

عُبرَ في قوله تعالى: ﴿وَالْيَنَّا يُرْجَعُونَ﴾ بضمير (نا) التي تدلُّ على تعظيم المتكلم سبحانه وعلو قدره؛ لتعدد صفاته الحميدة ومواهبه الجزيلة، وفيه أيضاً إدخال المهابة في قلوب العباد⁽¹⁾، فالعظيم وحده هو المتفرد بالبقاء، وهو القادر على البعث والإحياء بعد الإماتة، وكل ما يصدر عن العظيم عظيم.

عظمة الباقي
سبحانه في
إحياء الخلق
للبعث والنشور

نكتة إينار الفعل ﴿يُرْجَعُونَ﴾ دون غيره:

أوتِرَ في قوله تعالى: ﴿وَالْيَنَّا يُرْجَعُونَ﴾ استعمالُ الفعل ﴿يُرْجَعُونَ﴾ دون غيره؛ وذلك لأنَّ الرجوع الانصراف من مكان حلولٍ ثانٍ إلى مكان حلولٍ أولٍ، فالْمُؤْمِنُونَ يَصْدَقُونَ بيوم الحساب والجزاء، والكَفَّارُ زَعَمُوا أَنَّهُ لَا بَعثَ وَلَا رَجوعَ وكفروا بالمرجع إليه سبحانه⁽²⁾، فأكد الله سبحانه أَنَّهُمْ سِيرَجَعُونَ إلى خالقهم للحساب والعقاب.

عودة النَّاسِ إلى
الحياة للحساب
والجزاء

التوجيه البلاغي للقراءات في الآية:

تضمَّنَ قوله تعالى: ﴿وَالْيَنَّا يُرْجَعُونَ﴾ قراءتين مشهورتين، فقرأ الجمهور ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بالبناء لما لم يسمَّ فاعله، وقرأ يعقوبٌ - وحده - بالبناء للفاعل ﴿يُرْجَعُونَ﴾ في كلِّ ما كان فيه الرجوع إلى الآخرة، فحجَّةُ قراءة الجمهور ﴿يُرْجَعُونَ﴾ أَنَّهُ مِنْ (أَرْجَعَ) إِذَا فُعِلَ بِهِ الرجوع، فالله سبحانه هو وحده القادر على إرجاعهم، ونظير هذا المعنى قوله: ﴿وَلَكِنْ رُدُّدْتُ إِلَى رَبِّي﴾ [الكهف: 36] وقوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ﴾ [الأنعام: 62]⁽³⁾، وأمَّا قراءة يعقوب بالبناء للفاعل ﴿يُرْجَعُونَ﴾ فجعل فعل الرجوع منهم، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 156]، فهو فاعل في اللفظ دون المعنى، نحو: (مات زيد).

القراءة مع
القراءة كالأية
مع الآية

(1) الشَّهاب، عناية القاضى وكفاية الراضى: 208 / 6.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 314 / 1.

(3) ابن الجزري، النشر: 208 / 2، والفارسي، الحجَّة: 422 / 5.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الميراث والتُّراث:

شمول التُّراث لإِثْرِ المادي والمعنوي

يشترك لفظ (الميراث) مع لفظ (التُّراث) في أصل الاشتقاق وهو الوَرِثُ، وهو أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ لِقَوْمٍ ثُمَّ يَصِيرُ إِلَى آخَرِينَ بِسَبَبٍ أَوْ سَبَبٍ⁽¹⁾، ويختلف لفظ (الميراث) عن لفظ (التُّراث) في البناء الصرفي، فلفظ (الميراث) أصله مَوْرَاثٌ، فانقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها⁽²⁾، وأمَّا لفظ (التُّراث) فأصل التَّاء فيه واو، فأصله التُّوراثُ من وَرِثْتُ، ولكن التاء تبدل من الواو إذا كانت الواو مضمومةً، نحو تَجَاهُ، وأصله وُجَاهُ من واجَهْتُ⁽³⁾. وقد حاول بعض العلماء أَنْ يتلمَّسَ فرقًا دلاليًا بين اللفظين، فقالوا: إِنَّ (التُّراث) يدلُّ على كُلِّ ما يرثه اللاحق من سابقه من أمور ماديَّة كالأموال والممتلكات، ومعنوية كالقيم والعلوم والعادات والتقاليد ... إلخ وإنَّ (الميراث) خاصٌّ بوراثَةِ الأمور الماديَّة فقط، وهو تفريق غير دقيق.

الرَّجوع والعودة:

العودة تدلُّ على الرجوع والابتداء

يتجلَّى الفرق بين لفظ (الرَّجوع) ولفظ (العودة) في كون معنى (الرَّجوع): فعل الشيء ثانية، ومصيره إلى حال كان عليها، وأمَّا لفظ (العودة) فيستعمل في هذا المعنى على الحقيقة، ويستعمل في الابتداء مجازًا، فيقال قد عاد إليَّ من فلان مكروه، وإن لم يكن قد سبقه مكروه قبل ذلك، وتأويله أَنَّهُ لحقني منه مكروه، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْأَلَأَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: 88]، والمعنى: (أو لتدخلنَّ في ديننا)؛ فَإِنَّهُ ﷻ لم يكن على دينهم قطُّ⁽⁴⁾.

فلفظ (العودة) أوسع دلالة من لفظ (الرَّجوع).

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ورث).

(2) الجوهري، الصحاح: (ورث).

(3) الزَّجَّاج، معاني القرآن وإعرابه: 323 / 5.

(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 313.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريم من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريم من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 31، 808 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-73-0

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 31: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريم من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-73-0

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»